

معالم منهج نقد الروايات
في القرآن الكريم[1]

فتح الدين محمد أبو الفتح بيانوني

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ورضي الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد تعددت الآثار النبوية التي تدعو إلى نشر الأحاديث وتبليغها، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "بلّغوا عنّي ولو آيةً وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"[2]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "ليبلّغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه"[3]. إلى غير ذلك من الآثار الداعية إلى تبليغ حديثه صلى الله عليه وسلم للآخرين. والسؤال المطروح هنا ما يلي: هل رافق هذا الأمر النبوي للصحابة رضوان الله عليهم بتبليغ السنة ونشرها، وضع أصول للرواية يسير المسلمون الأوائل في ضوئها، والإرشاد إلى ضوابط يراعونها في تحملهم للروايات وأدائهم لها، وقواعد يطبقونها في دراستهم للروايات ونقدهم لها؟

١- نشأت أصل هذا البحث من ورقة مقدمة لندوة "نقد المتن الحديثي"، المنعقدة في عمان، الأردن، بإشراف المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢-٣/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

٢- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٢٧٤، ج ٣، ص١٢٧٥.

٣- جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلّغ أوعى من سامع، حديث رقم: ٦٧، ج ١، ص ٣٧.

وقد أجاب الباحث عن الجزء الأول من هذا السؤال في دراسة سابقة له(٤)، فبيّن اشتمال القرآن الكريم على ضوابط متعددة تحكم عملية الرواية وتحافظ عليها من الزيادة والنقص والتبديل والتحريف. أما الجزء الثاني من هذا السؤال، والذي يتعلق بمبادئ النقد وقواعده، فهو ما ستقوم هذه الدراسة بالإجابة عنه إن شاء الله تعالى، من خلال الإشارة إلى منهج التثبت والتبين الذي ربَّى عليه القرآن الكريم المسلمين منذ صدر الإسلام، وإبراز معالم منهج نقد الروايات في القرآن الكريم.

إن مسألة نشأة علوم الحديث عامة ومنهج النقد عند المحدثين خاصة تمثل أحد النقاط الرئيسة التي توقف عندها الكتّاب الغربيون على وجه الخصوص. فبينما يعتقد علماء المسلمين بوجود منهج دقيق لدراسة الروايات ونقدها منذ الأيام الأولى في الإسلام، وأن علم أصول الحديث الشريف نشأ مع ظهور الحاجة إليه وتطور بتطورها، يرى كتّاب الغرب ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، أن الأمر لم يكن كما يصوره علماء المسلمين. فهم يذهبون إلى أن علم أصول الحديث المشتمل على مبادئ النقد وقواعده لم يبدأ في الظهور إلا في وقت متأخر، وعلى أبعد تقدير في القرن الهجري الثاني، بعد أن اختلط الصحيح بالسقيم، والأصيل بالدخيل، بل بعدما غلبت سمة الوضع على الروايات الحديثية، بحيث لم يعد ممكنا التمييز بين الصحيح والموضوع، وأصبح حال من يبحث عن الصحيح من الروايات حال من يبحث عن إبرة معدنية في كومة من القش، حسب تعبيرهم(٥).

٤- انظر: فتح الدين البيانوني، "ضوابط الرواية في القرآن الكريم"، مجلة **معالم القرآن والسنة**، كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م، ص ١٦٩-٢٠٩.

٥- See Robson, James. "Muslim Tradition: The question of authenticity". Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society (Manchester Memoirs), 93, (1951/52, pp. 84-102), p. 94.

فالمستشرق جيمس روبسون[٦] يرى أن الفوضى التي اتسمت بها عملية الرواية في صدر الإسلام، والتي أدت إلى وضع الكثير من الروايات وانتشارها في المجتمع، هي السبب الذي دعا المسلمين إلى إيجاد ضوابط تنظم عملية الرواية وتحكم على نتائجها، وتضع حدا لحركة الوضع والاختلاق التي صبغت علم الحديث بشكل عام[٧]. ويؤرخ لنشأة هذه القواعد والضوابط بقوله: "ومع بداية القرن الهجري الثاني ظهر نظام صارم للحكم على الروايات بناء على نقد أسانيدها، وحذر علماء الحديث من الرواة غير الثقات، إلا أن هذا النظام كان في مراحله الأولى آنذاك، وبحاجة إلى التطوير والترتيب"[٨]. أما عن جدوى هذا النظام وفاعليته، فيقول: "إن هذا النظام النقدي الصارم ظهر بعد فوات الأوان، فقد تم

٦- جيمس روبسون (١٨٩٠-١٩٨١م) مستشرق بريطاني من مدينة جلاسكو في بريطانيا، كتب عددا من المقالات في مجال علم الحديث في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، وفي عدد من الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية. شغل منصب نائب كرسي الدراسات العبرية في جامعة گلاسگو (١٩١٥-١٩١٦م)، وعين بعد ذلك محاضرا للغة العربية في جامعة گلاسگو (١٩٢٨-١٩٤٨م). حصل على الدكتوراه من كلية الثالوث في جامعة گلاسگو، ومنح درجة الدكتوراه الفخرية في الإلهيات من جامعة سينت أندروز. شغل منصب رئيس كرسي الدراسات العربية في جامعة مانچستر (١٩٤٩-١٩٥٨م)، وكان عضوا في الجمعية الاستشراقية في جامعة گلاسگو (١٩٢٢-١٩٧٤م)، وكذلك في الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا (١٩٣٣-١٩٧٩م)، كما كان عضوا في هيئة تحرير مجلة **العالم الإسلامي**، المتخصصة في الدراسات الإسلامية (١٩٤٧-١٩٨٠م). انظر:

Who Was Who, vol. Viii, (1981-1990); Who's Who, an annual biographical dictionary, London, 1991; The Writer Directory, (1974-76), London/New York, 1973.

٧- See Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 88; Robson, James. "Standards applied by Muslim traditionists". Bulletin of the John Rylands Library. Manchester, 43, 2, 1961, p. 459.

وانظر: مقدمة روبسون لكتاب **مشكاة المصابيح** الذي قام بترجمته إلى اللغة الإنجليزية:

al-Tibr͘z͘, Muhammad b. 'Abd Allah al-Khah͘b. Mishkat al-masabih., (English translation with explanatory notes, by James Robson.), 4 vols, Lahore, 1963-65, pp. 6-7.

٨- See Robson, James. "Tradition, the second foundation of Islam", (The Muslim World. Hartford. 41, 1951), p. 27; Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 92.

وكذلك مقدمة روبسون لكتاب **مشكاة المصابيح** باللغة الإنجليزية، ص٦.

وضع الكثير من الروايات، كما تم نشر تلك الروايات المختلقة عن طريق تزويدها بأسانيد موثوقة، لا يمكن الشك فيها"[٩].

ويخلص المستشرق روبسون إلى القول بإن هذا العلم الواسع (مصطلح الحديث) بتفاصيله الدقيقة والمتنوعة أشبه ما يكون بواجهة فخمة تزين علم الحديث الذي لم يبن على أسس سليمة وثابتة، كما قد يوحي مظهره العام[١٠]. ويصرح المستشرق جوزيف شاخت[١١] بعدم كفاءة منهج النقد عند المحدثين بقوله: "إن من المسلّم به بشكل عام أن منهج نقد الروايات الذي يمارسه علماء المسلمين غير واف، ومع أن كثيرا من الأحاديث الموضوعة قد تم التخلص منها بواسطته، فإن كتب الحديث المعترف بها تحوي عددا كبيرا من الأحاديث التي لا يمكن أن تكون صحيحة"[١٢]. وتمثل دعوى تأخر ظهور منهج نقد الروايات وعدم كفاءته أحد المنطلقات الرئيسة لدراسة المستشرقين لعلم الحديث الشريف، حيث انبثقت عنها العديد من الشبهات التي أثيرت حول هذا العلم.

وتسعى هذه الدراسة إلى التعرف على ملامح منهج نقد الروايات في القرآن الكريم، بهدف التأكيد على وجود أساسيات ذلك المنهج في صدر الإسلام، ومواكبته لعملية الرواية، والرد على من يدعي خلاف ذلك. وقد استفادت الدراسة من مقتضيات المنهج الاستقرائي، للوقوف على النصوص القرآنية ذات العلاقة بنقد الروايات والأخبار؛ إضافة إلى المنهج التحليلي الذي تم توظيفه لدراسة تلك النصوص وتحليلها، واستنباط ما ألمحت إليه من معايير ومقاييس تتعلق بدراسة الأخبار ونقدها.

٩- See Robson, James, "The material of Tradition I", (MW. 41, 1951, pp. 166-80), p. 169.

١٠- See Robson, “Standards applied by Muslim traditionists”, p. 479.

١١- جوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م): مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، وقد كان لآرائه أثر كبير في كتابات من جاء بعده من المستشرقين. عمل محاضرا في الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد والجزائر وغيرهما من الجامعات العربية والأجنبية. انظر عبد الرحمن بدوي، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٢٥٢، ومحمد لقمان السلفي، **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا**، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٣٣-٤٣٤.

١٢- Schacht, Joseph. The origins of Muhammadan jurisprudence, Oxford, 1950, p. 4.

ونتيجة لاستقراء آيات القرآن الكريم وتحليلها، فقد وقف الباحث على عدة قضايا تمثل ـ في نظره ـ الأرضية التي انطلق منها المحدثون في تقرير قواعد النقد وشروطه، وإن كان بعضها قد لا يتعلق بنقد الروايات مباشرة، ولعل كلمة "معالم" في العنوان تشير إلى ذلك.

وثمة أمران ينبغي التأكيد عليهما في مقدمة هذا البحث؛ الأمر الأول: أن القرآن الكريم كتاب هداية وتوجيه للبشرية في جميع أمورها، وليس كتابا متخصصا في علم أصول الحديث، وبناء على ذلك لا يتصور المرء أن يجد فيه شروطا تفصيلية لنقد الروايات تغطي جميع ما اتفق عليه المحدثون في هذ المجال، ولكن حسبه الوقوف على توجيهات أو إشارات عامة، يستفاد منها في نقد الأخبار بشكل مباشر أو غير مباشر، وتعطي شرعية لما تبناه المحدثون من قواعد وشروط لقبول الروايات. والأمر الثاني: أن هذا الموضوع لا يكفي وحده في إثبات وجود منهج نقد الروايات في صدر الإسلام، وإنما يعد خطوة مهمة في هذا الطريق، تلفت الأنظار إلى الأسس التي انطلق منها المحدثون في وضع قواعدهم، وتؤكد شمول القرآن الكريم للتوجيهات الرئيسة في مجال نقد الأخبار. ولا بد أن تتبعها خطوات أخرى تستقرئ معالم منهج النقد في السنة النبوية المطهرة، وما أثر عن علماء الصحابة والتابعين من قواعد نظرية وتطبيقات عملية في هذا الميدان.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مطالب، وخاتمة. تعرض المقدمة لأهمية الموضوع، وتبين أسباب اختياره، ويتناول التمهيد تعريف مصطلح "نقد الروايات"، يلي ذلك أربعة مطالب يتناول كل مطلب منها معلما مستقلًا من معالم منهج نقد الروايات، التي تتمثل فيما يلي:

الأمر بالتثبت في الروايات، والجرح والتعديل، واشتراط عدالة الراوي، ونقد المتن.

التمهيد: تعريف نقد الروايات:

جاء في **لسان العرب**: "النقد: خلاف النسيئة. والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها. أنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدنانير تنقاد الصياريف

ونقدت الدراهم وانتقدتها: إذا أخرجت منها الزيف... وناقدت فلاناً إذا ناقشته في الأمر"(١٣). وقال الرازي: "نقده الدراهم، ونقد له الدراهم أي أعطاه إياها، فانتقدها أي قبضها. ونقد الدراهم وانتقدها: أخرج منها الزيف. وبابهما نصر... وناقده: ناقشه في الأمر"(١٤).

أما كلمة الروايات فهي جمع رواية. يقال: "روى الحديث والشعر يرويه رواية وترواه... ويقال: روى فلان فلانًا شعرًا، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه"(١٥). وجاء في **مختار الصحاح**: "روى الحديث والشعر يروي بالكسر روايةً، فهو راو"(١٦). وفي **المعجم الوسيط**: "روى الحديث أو الشعر رواية: حمله ونقله، فهو راو، والجمع رواة... ويقال: روى عليه الكذب: كذب عليه... والرواية: القصة الطويلة (محدثة)"(١٧). فلفظة "الرواية" مصدر للفعل روى بمعنى حدّث وقصّ، وتطلق على كل ما يحدّث به الإنسان وينقله إلى غيره من حديث أو خبر أو قصة وغير ذلك(١٨). وهذا هو المعنى المقصود في هذه الدراسة. كما تطلق على عملية التحديث ونقل الحديث أو الخبر وتبليغه للآخرين، وعلى هذا المعنى جاء تعريف الدكتور نور الدين عتر للرواية في اصطلاح المحدثين، حيث عرفها بأنها "حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عُزي إليه، بصيغ من صيغ الأداء"(١٩).

١٣- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مادة "نقد"، باب الدال، فصل النون، ج ٣، ص ٤٢٥. وانظر: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٢٢-٣٢٣، مادة "نقد".

١٤- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٨١، مادة "نقد".

١٥- ابن منظور، **لسان العرب**، باب الياء، فصل الراء، ج ١٤، ص ٣٤٨، مادة "روي".

١٦- الرازي، **مختار الصحاح**، مادة "روي"، ص ١١١.

١٧- إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ج ١، ص٣٨٤، مادة "روي".

١٨- هذا قياس على كلمة الإسناد مصدر الفعل أسند، تطلق على السند نفسه وعلى حكاية طريق المتن. فعلى المعنى الأول هي اسم للسند يثنى ويجمع، وعلى المعنى الثاني هي مصدر لا يثنى ولا يجمع. انظر: محمد أبو الليث الخيرآبادي، **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**، دار الشاكر، ماليزيا، ط ٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٧.

١٩- نور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٨٨.

ويمكن تعريف نقد الروايات بأنه: تمييز الروايات وبيان المردود منها. أو دراسة الروايات سندا ومتنا، للتمييز بين ما يقبل منها وما يرد.

ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم يقف المرء على عدد من النصوص ذات علاقة مباشرة بمسألة التحري والتثبت في الروايات، وفيما يلي عرض لأبرز معالم منهج نقد الروايات.

المطلب الأول: الأمر بالتثبت في الرواية:

التثبت في اللغة يطلق على التأني وعدم العجلة، يقال: تثبت في الأمر والرأي، واستثبت، بمعنى: تأنى فيه ولم يعجل[٢٠]. ويقصد به هنا التأني في قبول الرواية، حتى يتم التأكد من توافر شروط القبول فيها.

ويعدّ الأمر بالتثبت في الرواية ونقل الأخبار أحد التوجيهات الرئيسية التي صرّح بها القرآن الكريم ونبّه إليها في أكثر من مناسبة. ففي سورة الحجرات يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[٢١]. فهذه الآية تدل على "وجوب التثبت من الأخبار المنقولة والروايات المروية، أخذا بالحيطة والحذر ومنعا من إيذاء الآخرين"[٢٢].

وقد أشار الإمام مسلم إلى ضرورة التثبت في الروايات قبل روايتها ونشرها، مستدلا بهذه الآية وبقوله سبحانه: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[٢٣]، وقوله عزّوجل: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٖ مِّنكُمْ ﴾[٢٤]، فقال: "اعلم، وفقك الله تعالى، أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والستارة في ناقليه. وأن يتقي منها ما كان منها من أهل التهم والمعاندين من أهل البدع"[٢٥].

٢٠- انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، باب التاء، فصل الثاء، ج ٢، ص ١٩، مادة "ثبت".

٢١- سورة الحجرات، الآية: ٦.

٢٢- وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج ٢٦، ص ٢٢٩.

٢٣- سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

٢٤- سورة الطلاق، الآية: ٢.

٢٥- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، المقدمة، ج ١، ص ٨.

ومن الآيات الدالة على أهمية التثبت قول الله عزّوجل: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(٢٦). فقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هجر نساءه وشاع أنه طلّقهن جاءه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "يا رسول الله! أطلقتهن؟ قال: "لا". قلت: يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون: طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: "نعم، إن شئت"... فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾. فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، وأنزل الله عز وجل آية التخيير"(٢٧).

والآية ـ كما يشير الحديث ـ نزلت في خبر تطليق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه، حيث شاع هذا الخبر بين المسلمين ولم يتثبتوا فيه، فقام سيدنا عمر رضي الله عنه بالتثبت من هذا الخبر من مصدره، وسأل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ليتحقق من صحته. يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "والمعنى أنهم إذا سمعوا شيئًا من الأمور فيه أمن، نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم، أو الخوف، وهو ضد هذا، أذاعوا به، أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به، قبل أن يقفوا على حقيقته"(٢٨). ولو سكتوا وردوا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى أميرهم حتى يتكلم به، ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ وهم الذين ينقرون عن الأخبار(٢٩).

٢٦- سورة النساء، الآية: ٨٣.

٢٧- أخرجه الإمام مسلم في **صحيحه**، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، حديث رقم: ١٤٧٩، ج ٢، ص١١٠٧.

٢٨- أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ، ج ٥، ص ٢٩١.

٢٩- انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٦٠١.

وتدل الآية على ضرورة التثبت في الأخبار وعدم قبولها ونشرها إلا بعد ردها إلى أولي الأمر وإلى أهل العلم والاختصاص والخبرة. كما أن فيها الإنكار على من يبادر إلى نشر الأخبار قبل التحقق من صحتها ودقتها، وقد لا يكون لها صحة[٣٠].

ويمكن أن يفهم من هذه الآية أن الأمر برد الأخبار إلى أهل العلم والاختصاص، وإلى أولي الأمر، يهدف إلى تحقيق أمرين: الأول: التحقق من صحة هذا الخبر ودقته، والثاني: النظر في مدى مناسبة نشر ذلك الخبر بين أفراد المجتمع، فقد يكون من غير المناسب نشر مثل هذا الخبر، وإن كان صحيحا، وذلك لما قد ينتج عن نشره من آثار سلبية ونتائج خطيرة على المستوى الخاص أو العام[٣١]. والأمر موكول إلى أهل الاختصاص وأولي الأمر لتقديره، فهم المسؤولون عن رعاية أمور الأمة والسهر على مصالحها، وحمايتها من أي خطر يهدد أمنها واستقرارها.

ومن الآيات الدالة على ضرورة التثبت في الأخبار والروايات، ما جاء في حادثة الإفك من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾[٣٢]. هذه الآيات نزلت في شأن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب والفرية فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول عليه الصلاة والسلام[٣٣]. وقد اشتملت هذه الآيات على أحكام ودروس عظيمة، والذي يهمنا منها في هذا البحث هو دلالتها على أهمية التثبت في الأمور، وضرورة نقد الأخبار والروايات، قبل قبولها ونشرها، ومن وسائل النقد طلب الشهود الذين

٣٠- انظر: إسماعيل بن عمر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت،١٤٠١هـ، ج ١، ص ٥٣٠.

٣١- يؤكد ذلك قول سيدنا علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"، وقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة". يقول الإمام القرطبي معلقا على هذين القولين: "وهذا محمول على بعض العلوم، كعلم الكلام أو ما لا يستوي في فهمه جميع العوام، فحكم العالم أن يحدث بما يفهم عنه، وينزل كل إنسان منزلته، والله تعالى أعلم". القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٢، ص ١٨٥.

٣٢- سورة النور، الآيات: ١١-١٣.

٣٣- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٢٦٩. وقد ذكر الإمام مسلم في **صحيحه** رواية طويلة تعرض سبب نزول هذه الآية، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم: ٢٧٧٠، ج٤، ص٢١٢٠ وما بعدها.

يشهدون على وقوع الخبر، وذلك للتحقق من صحته، وإلا كان من باب القول بغير علم، المنهي عنه. وقد صرحت الآيات في هذه الحادثة بالنهي عن القول بغير علم، وكونه إثما عظيما، قال تعالى في ختام تلك الآيات: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٣٤).

ومما يدل على أهمية التثبت في الروايات كذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣٥). ففي الآية دليل على ضرورة سؤال أهل العلم، وردّ الأمر إليهم، وعدم الحكم على الشيء أوالتصرف عن جهل وعدم معرفة. يقول الإمام القرطبي: "فرض العامي الذي لا يشتغل باستنباط الأحكام من أصولها لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه ويحتاج إليه أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده فيسأله عن نازلته فيمتثل فيها فتواه... وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالبحث عنه، حتى يقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس. وعلى العالم أيضًا فرض أن يقلد عالما مثله في نازلة خفي عليه فيها وجه الدليل والنظر، وأراد أن يجدد الفكر فيها والنظر حتى يقف على المطلوب، فضاق الوقت عن ذلك، وخاف على العبادة أن تفوت، أو على الحكم أن يذهب، سواء كان ذلك المجتهد الآخر صحابيا أو غيره، وإليه ذهب القاضي أبو بكر وجماعة من المحققين"(٣٦).

٣٤- سورة النور، الآيات: ١٥-١٧.

٣٥- سورة النحل، الآية: ٤٣.

٣٦- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٢، ص ٢١٢. ولا يرد على ذلك ما جاء في النهي عن السؤال، فقد نقل الحافظ ابن حجر ـ في شرحه لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم..." ـ عن البغوي في **شرح السنة** قوله: "المسائل على وجهين أحدهما: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين فهو جائز بل مأمور به، لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ الآية، وعلى ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما. ثانيهما: ما كان على وجه التعنت والتكلف، وهو المراد في هذا الحديث والله أعلم". أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشافعي ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ١٣، ص ٢٦٣. والحديث أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب الاعتصام بالسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٦٨٥٨، ج ٦، ص ٢٦٥٨. وروى الإمام القرطبي في تفسيره عن محمد بن كعب قوله: "لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله. قال الله تعالى:

ويقاس على ذلك مسألة الحكم على الروايات والتحقيق في صحتها، فلا بد من التثبت فيها والتعرف على حكمها قبل قبولها والعمل بناء على ما جاء فيها، أو نشرها، وذلك عن طريق دراستها ونقدها، أو سؤال أهل العلم المتخصصين عنها. يقول الحافظ الذهبي، مستدلا بهذه الآية: "فحق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته... والتردد على مجالس العلماء، والتحري والإتقان، وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد"(٣٧).

يقول الدكتور عاصم القريوتي، معلقا على قول الذهبي السابق: "إذا كان قول الذهبي هذا في عصره، فكيف الحال فيمن بعده، ولاسيما عصرنا؟ نعم، إن الأمر دين وجد خطير، فمن تحرّى وتثبت في دين الله فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر... وأما من تساهل ولم يحقق... فعليه الإثم والوزر، ولو أصاب في صنعه ووافق الحق"(٣٨).

والغفلة عن التثبت في قبول الأخبار لها آثارها الخطيرة على الفرد والمجتمع، فكم كان قبول الأخبار ونشرها دون تمحيص ونقد وتدقيق سببا في تفريق القلوب وتقطيع أواصر الألفة والمحبة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، بل ربما كان سببا في نشر الرعب والذعر في المجتمع بشكل عام. وعندما يتعلق الأمر بدين الله عزّ وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالأمر بالتثبت أشد إلحاحا، حتى لا ينسب المرء إليهما ما لا يليق بهما، وما هما منه براء.

المطلب الثاني: الجرح والتعديل:

علم الجرح والتعديل أحد الشعب الرئيسية في علوم الحديث، وهو "علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ"(٣٩). فالجرح هو: الطعن في الراوي بما ينال من عدالته وضبطه، والتعديل هو: تزكية الراوي والحكم بعدالته وضبطه. وعلم الجرح والتعديل هو

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ آل عمران، الآية: ١٨٧، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل، الآية: ١٦". القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤، ص ٣٠٤-٣٠٥.

٣٧- أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٤.

٣٨- عاصم القريوتي، **وجوب التثبت في الرواية**، مكتبة ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ص ١٩.

٣٩- مصطفى بن عبد الله القسطنطيني حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، ج ١، ص ٥٨٢.

ميزان الرواة، يثقل بكفته الراوي فيقبل، أو تخف موازينه فيرفض. وقد اعتنى علماء الحديث بهذا العلم عناية كبيرة، وانعقد إجماع العلماء على مشروعيته، بل على وجوبه للحاجة الماسة إليه في معرفة من يقبل حديثه ومن يرد(٤٠).

ويؤكد الإمام المعلمي أن القرآن الكريم أول من تكلم في الجرح والتعديل، فيقول: "أول من تكلم في أحوال الرجال القرآن، ثم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أصحابه. والآيات كثيرة في الثناء على الصحابة إجمالا، وذم المنافقين إجمالًا، ووردت آيات في الثناء على أفراد معينين من الصحابة، كما يعلم من كتب الفضائل، وآيات في التنبيه على نفاق أفراد معينين، وعلى جرح أفراد آخرين"(٤١). وفيما يلي عرض لبعض أمثلة التعديل والجرح في القرآن الكريم.

أولا: التعديل:

التعديل في اللغة التقويم. يقال: عدله تعديلا، أي: قوَّمه فاستقام. وكل مثقف معدَّل. والعدل من الناس: المرضي قوله وحكمه(٤٢). فالتعديل في معناه العام يعني تزكية المرء والثناء عليه، والحكم بقبوله، والرضى بقوله أو فعله، وإمكان الثقة به والاعتماد عليه، في أي مجال من مجالات الحياة، فتعديل الشاهد يعني الحكم بكونه عدلا تقبل شهادته، وتعديل الراوي يعني الحكم بكونه عدلا ضابطا يمكن قبول روايته... وهكذا.

وقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من الآيات التي تنصّ على تعديل شخص معين أو جماعة محددة، كما اشتمل على آيات تنص على ما يمكن أن يطلق عليه: "التعديل العام".

أ- **تعديل الأفراد:**

المثال الأول: تعديل الله عزّ وجل لرسله صلوات الله وسلاماته عليهم وتزكيته لهم، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾(٤٣). وقوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ

٤٠- نور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ص ٩٢.

٤١- عبد الرحمن المعلمي، **علم الرجال وأهميته**، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٠-١١.

٤٢- انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، باب اللام، فصل العين، ج ١١، ص ٤٣٠، مادة "عدل"، والرازي، **مختار الصحاح**، مادة: "عدل"، ص ١٧٦.

٤٣- سورة مريم، الآية: ٤١.

إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾(٤٤). وهذا من أعلى درجات التعديل في القرآن الكريم وأرفعه.

المثال الثاني: تعديل أحد الصحابة رضوان الله عليهم. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾(٤٥). يروى أن هذه الآية نزلت في الصحابي صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، وذلك لما أسلم بمكة وأراد الهجرة، بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيام، لحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدّوه عن ذلك، فلما أحسّ بهم نزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته فوضعها بين يديه، وقال: والله لقد علمتم أني من أرماكم، ووالله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي، فأقتل بكل سهم من هذه رجلا منكم، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم. فقالوا: لا نتركك تذهب عنا غنيا وقد جئتنا صعلوكا، ولكن دُلّنا على مالك بمكة ونخلّي عنك، وعاهدوه على ذلك، فقال: أنا أدلكم على مالي، هو مدفون في مكان كذا وكذا، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله. فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ربح البيع أبا يحيى، وتلا عليه الآية"(٤٦).

وروى الطبري عن عكرمة أنه قال: "نزلت في صهيب بن سنان رضي الله عنه وأبي ذر الغفاري جندب بن السكن رضي الله عنه. أخذ أهل أبي ذر أبا ذر فانفلت منهم، فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رجع مهاجرا عرضوا له، وكانوا بمر الظهران، فانفلت أيضًا حتى قدم على النبي عليه الصلاة

٤٤- سورة مريم، الآيات: ٥٤-٥٦. انظر: وصف الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ في سورة الإسراء، الآية: ٣.

٤٥- سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

٤٦- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ٢٠، وابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ١، ص ٢٤٧، **البداية والنهاية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٧، ص ٣١٩. وحديث "ربح البيع" أخرجه الإمام الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي. انظر: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين**، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج ٣، ص٣٩٨. وذكره الحافظ أبو بكر الهيثمي في كتاب المغازي والسير، باب الهجرة إلى المدينة، وقال: رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم. انظر: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج ٦، ص ٦٠.

والسلام. وأما صهيب فأخذه أهله، فافتدى منهم بماله، ثم خرج مهاجرا، فأدركه منقذ بن عمير بن جدعان، فخرج له مما بقي من ماله، وخلّى سبيله"(٤٧).

ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "لما قتل أصحاب الرجيع(٤٨) قال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم أقاموا في أهلهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم. فأنزل الله فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ وما بعدها، وأنزل الله في أصحاب السرية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾"(٤٩). وبذلك تكون هذه الآية مثالا لتعديل جماعة معينة.

وعلى أية حال فالآية لا تخرج عن كونها نصا من نصوص التزكية والتعديل، سواء كان ذلك لشخص معين أو لجماعة محددة، أو كان من باب التعديل العام الذي لا يختص بفرد أو جماعة، بل ينطبق على كل من تحقق بما فيه وعمل به(٥٠). وقد أوردتها مثالا لتعديل الأفراد، لما اشتهر من كونها نزلت في الصحابي الجليل صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، وقد عزا الإمام ابن كثير هذا القول إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وأنس بن مالك رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، وأبي عثمان النهدي، وعكرمة، وجماعة غيرهم(٥١).

المثال الثالث: تعديل عدة أفراد من الصحابة رضوان الله عليهم. قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ

٤٧- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان**، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ٣٢١.

٤٨- غزوة الرجيع كانت في شهر صفر سنة أربع للهجرة، حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه، حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة لحق بهم نفر من بني لحيان، فقتلوا ثمانية منهم، وأسروا خبيبا الأنصاري وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة. انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٤، ص ٦٢-٦٣. وقد روى الإمام البخاري قصتهم مفصلة في كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن صلى ركعتين عند القتل، حديث رقم: ٢٨٨٠، وفي كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، حديث رقم: ٣٨٥٨. انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج ٣، ص ١١٠٧، و ج٤، ص١٤٩٨.

٤٩- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٤، ص ٦٧.

٥٠- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج ٢، ص ٣٢١.

٥١- ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ١، ص ٢٤٨.

عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(٥٢).

يقول المفسرون: أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه حين قتل أباه يوم بدر. وقيل: في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ نزلت في أبي عبيدة رضي الله عنه قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، همّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ﴾ في مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، ﴿أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ(٥٣).

وكل من اتصفوا بأنهم لا يحبون من عادى الله عزّ وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يوالونه، ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم، فهؤلاء ممن كتب الله في قلوبهم الإيمان، أي كتب لهم السعادة وقررها في قلوبهم، وزين الإيمان في بصيرتهم، وقواهم، ويدخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا(٥٤).

وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوّضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم. وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي هؤلاء الذين سبقت الإشارة إليهم في الآية هم عباد الله وأهل كرامته، وهم المفلحون والسعداء بنصر الله تعالى في الدنيا وبنعيمه وجنته في الآخرة(٥٥).

ب- تعديل جماعة محددة:

المثال الأول: تعديل أصحاب بيعة الرضوان. يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ

٥٢- سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

٥٣- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٤، ص ٣٢٩، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٧، ص ٣٠٧-٣٠٨.

٥٤- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٤، ص ٣٢٩، والطبري، **جامع البيان**، ج ٢٨، ص ٢٦-٢٧.

٥٥- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٤، ص٣٢٩.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٥٦]. هاتان الآيتان تتحدثان عن أصحاب بيعة الرضوان من الصحابة رضوان الله عليهم، الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم الحديبية سنة ست للهجرة[٥٧]، على مناجزة قريش الحرب وعدم الفرار، وكانت بيعتهم هذه تحت شجرة. و"كان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملإ من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم: ألفا وأربعمائة، وفي قول بعضهم: ألفا وخمسمائة، وفي قول بعضهم: ألفا وثلاثمائة"[٥٨].

وقد أخبر الله عزّ وجل في هاتين الآيتين عن رضاه عن هؤلاء المؤمنين المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا تعديل وتزكية من الله عزّ وجل لا يعلوه أي تعديل وتزكية. وقوله تعالى: "﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ وهي الطمأنينة ﴿ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾"[٥٩].

المثال الثاني: تعديل المهاجرين. يقول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[٦٠]. "والمهاجرون هنا: من

٥٦- سورة الفتح، الآيتان: ١٨-١٩.

٥٧- انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٤، ص ١٦٤-١٧٣، وابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٤، ص ١٨٥-١٨٩، و١٩٠-١٩١، وقد نص الإمام ابن كثير على أن أصح الأقوال في عدد أصحاب البيعة هو: ألف وأربعمائة. وقد روى الإمام البخاري قصة الحديبية وبيعة الرضوان، في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ج ٤، ص ١٥٢٣.

٥٨- الطبري، **جامع البيان**، ج ٢٦، ص ٨٥.

٥٩- ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٤، ص ١٩١.

٦٠- سورة الحشر، الآية: ٨.

هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له"(٦١). يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها... هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون"(٦٢). وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي أولئك هم الذين صدّقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين(٦٣).

المثال الثالث: تعديل الأنصار. يقول الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٦٤). يمدح الله تعالى في هذه الآية الكريمة الأنصار، وهم الأوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم(٦٥)، ويصرح بفضلهم وشرفهم وكرمهم وإيثارهم رضي الله عنهم وأرضاهم، فيبين سبحانه أن هؤلاء الأنصار الذين سكنوا دار الهجرة قبل المهاجرين وآمنوا بالله عزّ وجل قبل كثير منهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم، ويقدّمون المحتاجين على حاجة أنفسهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله تعالى به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة. هؤلاء الأنصار قد سلموا من الشح، ومن سلم من الشح فقد أفلح وفاز بثواب الله تعالى ورضوانه، والخلود في نعيمه وجنانه(٦٦).

وقد روى البخاري ومسلم حديثا يفيد أن لهذه الآية سبب نزول خاص، وهو ضيافة رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة لرجل أصابه الجهد والتعب والمشقة، وإيثاره له على نفسه وأهله وولده. يقول

٦١- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٨، ص ١٩.

٦٢- الطبري، **جامع البيان**، ج ٢٨، ص ٤٠، والحفيرة هي الحفرة، ولعلها حفيرة بالتصغير، أي: حفرة صغيرة. فالحفيرة والحفر والحفير: البئر الموسعة فوق قدرها. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤، ص ٢٠٤.

٦٣- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٤، ص ٣٣٧.

٦٤- سورة الحشر، الآية: ٩.

٦٥- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج ٧، ص ٦.

٦٦- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٤، ص ٣٣٧-٣٣٨.

الحافظ ابن حجر معلقا على هذا الحديث: "هذا هو الأصح في سبب نزول هذه الآية"(٦٧). وبناء على ذلك يمكن أن تعد هذه الآية من باب تزكية الأفراد وتعديلهم.

ج- تعديل عام:

في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تنص أن الله سبحانه وتعالى يحب من اتصف بصفات معينة يحبها الله عز وجل ويرضاها لخلقه. وهذا غاية التعديل وأكرمه وأقواه، فليس فوق رضوان الله تعالى ومحبته أي رضوان أو محبة، وليس فوق تعديل الله عزّ وجل تعديل. وفيما يلي عرض لبعض الآيات التي تعلن محبة الله عزّ وجل لمن يتصف بصفات معينة من خلقه:

المثال الأول: تعديل أهل التقوى. يقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٦٨). والمتقون هم الذين يتقون الله تعالى بأداء فرائضه وتجنب محارمه(٦٩). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى "يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه، ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه، وحرمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به"(٧٠).

المثال الثاني: تعديل أهل القسط. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٧١). تبين هذه الآية أن الله عزّ وجل "يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم، كما أنه سبحانه يحب العاملين بين الناس والقاضين بينهم بحكم الله الذي أنزله في كتابه. يقال: أقسط الحاكم في حكمه إذا عدل وقضى بالحق"(٧٢).

٦٧- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج ٧، ص٩٤-٩٥. والحديث أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب فضائل الصحابة، باب قول الله عزّ وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، حديث رقم: ٣٥٨٧، ج٣، ص١٣٨٢. وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم: ٢٠٥٤، ج٣، ص١٦٢٤.

٦٨- سورة التوبة، الآيتان: ٤، ٧، وانظر: سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

٦٩- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج ٢، ص ٢٠٠.

٧٠- المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٢٠.

٧١- سورة المائدة، الآية:٤٢، وسورة الحجرات، الآية: ٩، وسورة الممتحنة، الآية: ٨.

٧٢- الطبري، **جامع البيان**، ج ٢، ص ٢٤٧. وأما قسط فمعناه: جار من الجور، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ سورة الجن، الآية: ١٥، يعني بذلك: الجائرين على الحق". انظر: المرجع السابق، ج ٦، ص٢٤٧.

المثال الثالث: تعديل أهل الصبر. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٧٣). والصابرون: قوم صبروا على طاعة الله عزّ وجل، وصبروا عن محارمه(٧٤). وفي الآية السابقة يعلن الله عزّ وجل أنه "يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، في جهاد عدوه، لا من فشل ففر عن عدوه، ولا من انقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات، ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه"(٧٥).

إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم التي تصرح بأن الله عزّ وجل: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٧٦)، ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٧٧)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾(٧٨).

وثمة آيات أخرى تصف من يقومون بأفعال مخصوصة بصفات مدح تنبئ عن تزكية الله عزوجل وتعديله لهم، وفيما يلي عرض لبعض تلك الصفات:

الصفة الأولى: المفلحون:

وهم الفائزون بالجنة والباقون فيها(٧٩). يقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٨٠). ويقول سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ

٧٣- سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

٧٤- هذا التفسير لمعنى الصبر مروي عن قتادة، انظر: السيوطي، **الدر المنثور**، في تفسير آية ١٧ من سورة آل عمران، ج٢، ص١٦٤.

٧٥- الطبري، **جامع البيان**، ج ٤، ص ١١٩.

٧٦- انظر: سورة البقرة، الآية: ٢٢٢، وسورة التوبة، الآية: ١٠٨.

٧٧- انظر: سورة البقرة، الآية: ١٩٥، وآل عمران، الآيات: ١٣٤، ١٤٨، والمائدة، الآيات: ١٣، ٩٣.

٧٨- انظر: سورة الصف، الآية: ٤.

٧٩- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١، ص ١٨٢.

٨٠- سورة البقرة، الآيات: ٢-٥، وسورة لقمان، الآيات: ٣-٥.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٨١). ويقول عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٨٢). وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يقول الإمام الطبري: "أي أولئك هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله، من الفوز بالثواب، والخلود في الجنان، والنجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقاب"(٨٣).

الصفة الثانية: الفائزون:

والفائز من نجا من النار وأُدخل الجنة، وأدرك ما تمناه وطلبه(٨٤). يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(٨٥). ويقول عزّ وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(٨٦). يفسر الإمام الطبري هذه الآية بقوله: "ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه، ويسلم لحكمهما له وعليه، ويخف عاقبة معصية الله ويحذره، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه؛ يقول: فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه"(٨٧).

الصفة الثالثة: الصادقون:

وهم "قوم صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم وألسنتهم، وصدقوا في السر والعلانية"(٨٨). يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(٨٩). يخاطب الله تعالى في هذه الآية الأعراب الذين قالوا: آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، ويبين لهم أن المؤمنين هم الذين صدقوا الله ورسوله، ثم لم يشكوا في وحدانية الله تعالى، ولا في نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وألزموا أنفسهم طاعة الله عزّ وجل وطاعة رسوله صلى

٨١- سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

٨٢- سورة النور، الآية: ٥١، والأعراف، الآيات: ١٥٦-١٥٧، والتوبة: ٨٨، والروم: ٣٨، والتغابن: ١٦.

٨٣- الطبري، **جامع البيان**، ج ١، ص ١٠٨.

٨٤- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج ٢٨، ص ٥٣، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٢، ص ٢٩٥.

٨٥- سورة التوبة، الآية: ٢٠. وانظر: أمثلة أخرى في سورة المؤمنون، الآية: ١١١، والحشر، الآيات: ٩، ٢٠.

٨٦- سورة النور، الآية: ٥٢.

٨٧- الطبري، **جامع البيان**، ج ١٨، ص ١٥٧.

٨٨- هذا التفسير مروي عن قتادة، انظر: السيوطي، **الدر المنثور**، ج ٢، ص ١٦٤.

٨٩- سورة الحجرات، الآية: ١٥.

الله عليه وسلم، والعمل بما وجب عليهم من فرائض الله بغير شك منهم في وجوب ذلك عليهم، وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مهجهم في جهادهم، على ما أمرهم الله تعالى به من جهادهم، وذلك لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ يعني أن هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله(٩٠).

الصفة الرابعة: المتقون:

وهم الذين يتقون الله عزّ وجل بأداء فرائضه وتجنب محارمه(٩١). يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٩٢). ويقول عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٩٣). وللعلماء في تفسير هذه الآية أقوال متعددة، فقد روي عن قتادة قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن، وصدق به المؤمنون. وعن علي رضي الله عنه، في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق به، قال: أبو بكر رضي الله عنه. وقال آخرون: الذي جاء بالصدق: رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصدق: القرآن، والمصدقون به: المؤمنون. يقول الإمام الطبري، بعد ذكر هذه الأقوال وغيرها: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه"(٩٤).

٩٠- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج ٢٦، ص ١٤٤.

٩١- انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣٦، ٤٦٨.

٩٢- سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

٩٣- سورة الزمر، الآية: ٣٣.

٩٤- المرجع السابق، ج ٢٤، ص ٤.

الصفة الخامسة: المؤمنون حقا:

وهم الذين استوى في الإيمان ظاهرهم وباطنهم[٩٥]. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٩٦]. ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٩٧]. يبين الله عزّ وجل في هذه الآية أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين "آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقا، لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل الشرك ولم يغز مع المسلمين عدوهم"[٩٨]. إلى غير ذلك من الصفات الأخرى التي أطلقها الله عز وجل على من يقومون بأفعال مخصوصة إشعارا بتزكيتهم ومدحهم، نحو: المهتدون، والراشدون، والصديقون والشهداء، وخير البرية، وأصحاب الجنة[٩٩].

هذا النوع من النصوص أطلقت عليه "التعديل العام" لأن فيه تزكية ومدحا من الله سبحانه وتعالى لمن تحقق بأوصاف معينة، أو قام بأفعال محددة، دون تخصيص بشخص معين أو جماعة محددة. وهذه الآيات تبين بمجموعها المعالم الرئيسة للفريق الذي يحبه الله عزّ وجل ويزكيه ويرضى عنه، ذلك الفريق هو الجدير بالثقة وهو الذي يمكن الاعتماد عليه في جوانب الحياة المختلفة، وينبغي للمسلم مرافقته ومحاكاته والاقتداء به والاعتماد عليه.

ثانيا- الجرح:

الجرح في اللغة مصدر للفعل جَرَحَ بمعنى: أثَّر فيه بالسلاح، وجرَّحه: أكثر ذلك فيه. وجَرَحَه بلسانه: شتمه، ويقال: جَرَحَ الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كذب وغيره[١٠٠].

٩٥- انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٧، ص ٣٦٧.

٩٦- سورة الأنفال، الآيات: ٢-٤.

٩٧- سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

٩٨- الطبري، **جامع البيان**، ج ١٠، ص ٥٧.

٩٩- المهتدون: البقرة:١٥٥-١٥٧، الراشدون: الحجرات: ٧، الصديقون والشهداء: الحديد: ١٩، خير البرية: البينة:٧، أصحاب الجنة: البقرة: ٨٢، الأعراف:٤٢، يونس:٢٦، هود:٢٣، الأحقاف:١٤.

١٠٠- انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٢، ص ٤٢٢.

فالجرح في معناه العام يعني الطعن والقدح في المرء، والتصريح بعدم الرضا به أو بقوله وفعله، وعدم إمكان الثقة به والاعتماد عليه، في بعض مجالات الحياة أو في جميعها. فجرح الشاهد هو الطعن فيه بما يقتضي الحكم بإسقاط شهادته وعدم قبولها، وجرح الراوي يعني الطعن في عدالته أو ضبطه بما يقتضي رد روايته وعدم الثقة بها، وهكذا... وقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من الآيات التي تنص على الطعن في شخص معين، أو جماعة محددة، كما اشتمل على آيات تنص على ما يمكن أن يطلق عليه: الجرح العام.

أ- جرح الأفراد:

اشتمل القرآن الكريم على عدد من الآيات التي قيل إنها نزلت في أشخاص معينين، تكشف حقيقتهم، وتحذر المسلمين من كيدهم ومكرهم، وتصفهم بما يستحقون من صفات تزري بهم وتحط من شأنهم. وفيما يلي بعض الأمثلة على هذا النوع من أنواع الجرح.

المثال الأول: جرح أحد أفراد المنافقين:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾(١٠١). وفيما يتعلق بسبب نزول هذه الآية، فقد أخرج ابن جرير عن السدي قال: "نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وهو حليف لبني زهرة وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأظهر له الإسلام فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه. وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أني صادق، وذلك قوله ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾. ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا .. ﴾"(١٠٢).

وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء: "نزلت في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو إضرارا، وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك"(١٠٣)، وبناء على هذا الرأي فالآية عامة، ويمكن أن تعد مثالا للجرح العام.

المثال الثاني: جرح أحد أفراد المشركين:

١٠١- سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤-٢٠٥.

١٠٢- الطبري، **جامع البيان**، ج ٢، ص٣١٢. وانظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ١٤.

١٠٣- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ١٨.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾(١٠٤). أشار بعض المفسرين إلى أن هذه الآية "نزلت في النضر بن الحارث، لأنه اشترى كتب الأعاجم: رستم، واسفنديار. فكان يجلس بمكة، فإذا قالت قريش: إن محمدا قال: كذا ضحك منه، وحدثهم بأحاديث ملوك الفرس ويقول: حديثي هذا أحسن من حديث محمد... وقيل: كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه"(١٠٥).

ومن الآيات التي نقل المفسرون أنها نزلت في النضر بن الحارث كذلك قول الله عزّ وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(١٠٦). فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "نزلت في النضر بن الحارث، كان يقول: إن الملائكة بنات الله"(١٠٧).

المثال الثالث: جرح بعض أفراد المشركين:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾(١٠٨). تعددت أقوال المفسرين في بيان من نزلت فيه هذه الآيات، فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وذهب آخرون إلى أنها نزلت في الأسود بن عبد يغوث، وذهب غيرهم إلى أنها نزلت في الوليد بن المغيرة حيث عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت في أبي جهل بن هشام(١٠٩). وأيّا كان الرجل

١٠٤- سورة لقمان، الآية: ٦.

١٠٥- المرجع السابق، ج ١٤، ص٥٢. وانظر: السيوطي، **الدر المنثور**، ج ٦، ص ٥٠٣. والقينة: الأمة غنت أو لم تغن، والماشطة، وكثيرا ما تطلق على المغنية من الإماء، وجمعها: قينات. انظر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود أحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج ٤، ص ١٣٥، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٣، ص٣٥٢. والقينة: الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والجمع القيان. انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص ٢٣٣.

١٠٦- سورة الحج، الآيتان: ٣-٤.

١٠٧- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٤، ص ٧٤، والطبري، **جامع البيان** ، ج ١٧، ص ١١٥-١١٦.

١٠٨- سورة القلم، الآيات: ١٠-١٣.

١٠٩- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٨، ص ٢٣١.

الذي نزلت في شأنه هذه الآيات، فهي تشتمل على ذم وتجريح لذلك المقصود بصفات متعددة، كل صفة أشد قبحا من سابقتها.

المثال الرابع: جرح أحد أفراد المنافقين:

يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١١٠). يقول المفسرون: نزلت هذه الآية في رجل من المنافقين يقال له: الجد بن قيس. فقد روى السيوطي عن محمد بن إسحاق قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّما كان يخرج في وجه من مغازيه إلا أظهر أنه يريد غيره، غير أنه في غزوة تبوك قال: "أيها الناس إني أريد الروم" فأعلمهم، وذلك في زمان البأس وشدة من الحر وجدب البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في جهازه، إذ قال للجد بن قيس: يا جد هل لك في بنات بني الأصفر؟ قال: يا رسول الله لقد علم قومي أنه ليس أحد أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يفتنني فأذن لي يا رسول الله. فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنت. فأنزل الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ يقول: ما وقع فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبته بنفسه عن نفسه أعظم مما يخاف من فتنة نساء بني الأصفر"(١١١).

المثال الخامس: وصف الله تعالى لفرعون بأنه من المفسدين:

يقول عزّ وجل: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(١١٢). كما وصفه في آية أخرى بأنه من المسرفين(١١٣).

١١٠- سورة التوبة، الآية: ٤٩.

١١١- السيوطي، **الدر المنثور**، ج ٤، ص ٢١٤.

١١٢- سورة القصص، الآية: ٤.

١١٣- انظر: سورة الدخان، الآية: ٣١.

هذه بعض الأمثلة التي تثبت اشتمال القرآن الكريم على هذا النوع من أنواع الجرح، ويمكن الوقوف على أمثلة أخرى من خلال استقراء الآيات المتعلقة بهذا الموضوع(١١٤).

ب- جرح جماعة محددة:

ويقصد بذلك ما ورد في القرآن الكريم من وصف لفريق معين أو جماعة محددة بأوصاف ذميمة تحط من شأنهم وتنفر منهم وتحذر من الاقتداء بهم. ويمكن أن يمثل لهذا النوع من الجرح بسورة "براءة" أو "التوبة"، تلك السورة التي فضحت المنافقين، وهتكت أستارهم، وكشفت أسرارهم، فأظهرتهم على حقيقتهم، وبينت زيف إيمانهم ومعتقدهم، وطبيعة مكرهم وخداعهم. عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه: "سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدًا منهم إلا ذكر فيها. قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير"(١١٥). وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أنه لم يبق منا أحد إلا سينزل فيه، وكانت تسمى الفاضحة"(١١٦).

ومن آيات هذه السورة التي كشفت أسرار المنافقين ووصفتهم بالجهل وعدم الفقه، قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(١١٧). فهؤلاء المنافقون "إذا حضروا الرسول وهو يتلو قرآنا أنزل فيه فضيحتهم أو فضيحة أحد منهم، جعل ينظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب على جهة التقرير، يقول: هل يراكم من أحد إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد؟ وذلك جهل منهم بنبوته عليه السلام، وأن الله يطلعه على ما يشاء من

١١٤- ومن الأمثلة على هذا النوع من الجرح الآية ٤٩، والآيات: ٧٥-٧٧، من سورة التوبة؛ والآيتان: ٧- ٨ من سورة المنافقين، فقد نزلتا في رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول. انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، حديث رقم: ٤٦٢٤، ج٤، ص١٨٦٣، والنيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم: ٢٧٧٢، ج ٤، ص ٢١٤٠.

١١٥- الحديث أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر، حديث رقم: ٤٦٠٠، ج ٤، ص١٨٥٢، وأخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، حديث رقم: ٣٠٣١، ج ٤، ص ٢٣٢٢، وانظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٨، ص ٦١.

١١٦- السيوطي، **الدر المنثور**، ج ٤، ص ١٢١.

١١٧- سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

غيبه"[118]. وقوله: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أي: صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين، وذلك لأنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه، استكبارا ونفاقا[119].

ومن السور التي تحدثت عن المنافقين كذلك سورة "المنافقون"، فقد اشتملت هذه السورة على عدد من الآيات التي تذم المنافقين وتحذر منهم، من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[120]. فالله سبحانه وتعالى يؤكد في هذه الآية ويشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مرسل من قبل الله عزّ وجل، وذلك لأنهم لا يعتقدون ذلك ولا يؤمنون به، فهم كاذبون في ادعائهم الإيمان به[121] صلى الله عليه وسلم. وفي آية أخرى من هذه السورة يحذر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من الاستماع إليهم وتصديقهم فيما يدّعون، فيقول عزّ وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[122]. يقول جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها، وإن يتكلموا تسمع كلامهم، يشبه منطقهم منطق الناس. كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول... يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كل صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم. هؤلاء المنافقون المتصفون بهذه الصفات هم العدو يا محمد فاحذرهم، فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم. ثم يدعو عليهم سبحانه بالخزي لانصرافهم عن الحق وعدم استجابتهم له[123].

١١٨- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٨، ص ٢٩٩. وانظر مثالا آخر في الآيات ٤٢-٤٨ من سورة التوبة.

١١٩- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج ١١، ص ٧٥.

١٢٠- سورة المنافقون، الآية: ١.

١٢١- انظر: المرجع السابق، ج ٢٨، ص ١٠٦.

١٢٢- سورة المنافقون، الآية: ٤.

١٢٣- انظر: المرجع السابق، ج ٢٨، ص ١٠٨.

ومن الأمثلة على الجرح الخاص بفئة معينة أو فريق محدد، الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى، وتبين كفرهم برسالة ربهم، وتكذيبهم لأنبيائهم ورسلهم، وتحريفهم لدينهم وشرائعهم. ومن ذلك قوله عزّ وجل: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(١٢٤).

ج- جرح عام:

في مقابل آيات التعديل العام التي تنص على أن الله سبحانه وتعالى يحب من اتصف بصفات محددة، اشتمل القرآن الكريم على عدد من الآيات التي تنص على أن الله سبحانه وتعالى لا يحب من اتصف بصفات معينة. وهذا غاية الجرح وأشده وأقواه، فليس بعد جرح الله عزّ وجل لأحد من خلقه جرح. وفيما يلي عرض لبعض الآيات التي تعلن عدم محبة الله عزّ وجل لمن يتصف بصفات معينة يبغضها سبحانه ولا يرضاها لخلقه: المثال الأول: يقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(١٢٥). والمفسد هو من يسعى في الأرض فسادا، والفساد هو الخراب، والآية تعم كل فساد كان في أرض أو مال أو دين(١٢٦). المثال الثاني: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(١٢٧). والمستكبر هو المتكبر عن قبول الحق. وقد نقل الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية قول بعض العلماء: "كل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر؛ فإنه فسق يلزمه الإعلان، وهو أصل العصيان كله"(١٢٨). المثال الثالث: يقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾(١٢٩). والخائن هو الغادر الذي ينقض العهود والمواثيق التي بينه وبين غيره، ولا يوفي بها(١٣٠). المثال الرابع: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(١٣١). والمعتدي

١٢٤- سورة المائدة، الآية: ٤٢.

١٢٥- سورة القصص، الآية: ٧٧. وانظر: سورة المائدة، الآية: ٦٤.

١٢٦- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ سورة البقرة، الآية:٢٠٥، ج ٣، ص ١٨.

١٢٧- سورة النحل، الآية: ٢٣.

١٢٨- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٠، ص ٩٥.

١٢٩- سورة الأنفال، الآية: ٥٨، وانظر: سورة النساء، الآية: ١٠٧، سورة الحج، الآية: ٣٨.

١٣٠- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٢، ص ٣٢١.

١٣١- سورة البقرة، الآية: ١٩٠، وسورة المائدة، الآية: ٨٧، وانظر: سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر، والمقصود بالاعتداء هنا تجاوز حدود الله تعالى في حلال أو حرام، أو المغالاة فيما أحل بإحلال الحرام أو بتحريم الحلال(١٣٢).

إلى غير ذلك من الآيات التي تصرح بأن الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١٣٣)، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١٣٤)، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(١٣٥)، ﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(١٣٦). وثمة آيات أخر تصف من يقومون بأفعال مخصوصة بصفات تقدح فيهم وتنبئ عن جرح الله عز وجل لهم وطعنه فيهم، وفيما يلي عرض لبعض تلك الصفات:

الصفة الأولى: الخاسرون(١٣٧):

يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١٣٨). ويقول عزّ وجل: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١٣٩). ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١٤٠). والخاسرون جمع خاسر، وهو "الذي نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز. والخسران: النقصان، كان في ميزان أو غيره"(١٤١). يقول الإمام الطبري في تفسيره لآية سورة البقرة: "والخاسرون: الناقصون أنفسهم حظوظها بمعصيتهم الله

١٣٢- انظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٧، ص ٢٢٦، وابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٢، ص ٢١١.

١٣٣- سورة آل عمران، الآية: ٣٢، سورة الروم، الآية: ٤٥، وانظر: سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

١٣٤- سورة آل عمران، الآيات: ٥٧، ١٤٠، وسورة الشورى، الآية: ٤٠.

١٣٥- سورة الأنعام، الآية: ١٤١، وسورة الأعراف، الآية: ٣١.

١٣٦- سورة النساء، الآية: ٣٦، وانظر: سورة لقمان، الآية: ٤، وسورة الحديد، الآية: ٢٣.

١٣٧- لمزيد من الأمثلة انظر: سورة البقرة، الآية:١٢١، وسورة الأعراف، الآية: ١٧٨، وسورة الأنفال: ٣٦-٣٧، وسورة التوبة، الآية: ٦٩، وسورة العنكبوت، الآية: ٥٢.

١٣٨- سورة البقرة، الآية: ٢٧.

١٣٩- سورة الزمر، الآية: ٦٣.

١٤٠- سورة المنافقون، الآية: ٩.

١٤١- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تفسير آية ٢٧ من سورة البقرة، ج ١، ص ٢٤٨.

من رحمته، كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه. فكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كان إلى رحمته"(١٤٢).

الصفة الثانية: الكاذبون:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١٤٣). ويقول عزّ وجل عن أصحاب الإفك: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١٤٤). ويخبرنا سبحانه وتعالى عن حال المنافقين بقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١٤٥). والكذب هو: "الإخبار عن الشيء على غير ما هو عليه وإن لم يتعمد، لكن التعمد شرط الإثم"(١٤٦)، وهو المقصود في الآيات السابقة.

الصفة الثالثة: الفاسقون(١٤٧):

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١٤٨). يبين الله تعالى في هذه الآية أن الذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين، فيرمونهن بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهم رأوهن يفعلن ذلك، فإن عقابهم أن يجلدوا ثمانين جلدة، وأن لا تقبل لهم شهادة أبدا، لكونهم خالفوا أمر الله وخرجوا عن طاعته(١٤٩). وأصل الفسق في كلام العرب "الخروج عن الشيء، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، والفأرة من جحرها... والفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من

١٤٢- الطبري، **جامع البيان**، ج ١، ص ١٨٥.

١٤٣- سورة النحل، الآية: ١٠٥.

١٤٤- سورة النور، الآية: ١٣.

١٤٥- سورة المجادلة، الآية: ١٨.

١٤٦- عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ، ج٥، ص ٢.

١٤٧- انظر: سورة آل عمران، الآية: ٨٢، سورة المائدة، الآية: ٤٧، سورة التوبة، الآية: ١٩٧، سورة النور، الآية: ٥٥، سورة الحشر، الآية: ١٩.

١٤٨- سورة النور، الآية: ٤.

١٤٩- انظر الطبري، **جامع البيان**، ج ١٥، ص ٥٧.

طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان"(١٥٠)، ولذلك يفسره العلماء بالخروج عن طاعة الله تعالى، أو الخروج عن الدين والإيمان.

إلى غير ذلك من الآيات التي تحوي ألقابا تفيد الجرح، نحو: ﴿هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾(١٥١)، ﴿هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾(١٥٢)، ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١٥٣)، ﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾(١٥٤)، ﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(١٥٥)، ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(١٥٦)، ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾(١٥٧)، ﴿أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾(١٥٨).

هذا النوع من النصوص أطلقت عليه "الجرح العام" لما يشتمل عليه من طعن وجرح لمن تحقق بأوصاف معينة، أو قام بأفعال محددة، دون تخصيص بشخص معين أو جماعة محددة. وهذه الآيات تبين بمجموعها المعالم الرئيسية للفريق الذي لا يحبه الله عزّ وجل ولا يرضى عنه، هذا الفريق غير جدير بالثقة به، ولا يمكن الاعتماد عليه وقبول قوله وحكمه، في كثير من مجالات الحياة، وينبغي للمسلم الحذر منه والابتعاد عن مجالسته والاستماع إليه، والحرص على عدم التشبه به والتلبس بصفاته. وهو الفريق الذي يستحق غضب الله تعالى في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

هذه الأمثلة السابقة في القرآن الكريم، من تعديل وجرح للأفراد والجماعات، إضافة إلى التعديل العام والجرح العام، يمكن أن تعدّ النواة الأولى لعلم الجرح والتعديل، وتمثل الدليل على مشروعيته وأهميته. فعناية القرآن الكريم بهذا الأمر دليل على مشروعيته من أجل التمييز بين الناس مسلمهم وكافرهم، وصالحهم وطالحهم، حتى لا تختلط الأوراق وتلتبس الأمور، ويكون المرء على بينة من أمره، فيحب ويوالي من يحبهم الله عزّ وجل ويزكيهم ويرضى عنهم، ويحذر ويتبرأ ممن لا يحبهم الله تعالى ولا يزكّيهم ولا يرضى عنهم. كما أن في عناية القرآن الكريم بمنهج الجرح والتعديل، وإشارته إلى المواصفات العامة لمن يحبهم

١٥٠- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١، ص ٢٤٦.

١٥١- انظر: سورة الأعراف، الآية: ١٧٩، سورة النحل، الآية: ١٠٨.

١٥٢- انظر: سورة التوبة، الآية: ١٠.

١٥٣- انظر: سورة البقرة:٢٢٩، ٢٥٤؛ آل عمران:٩٤؛ المائدة:٤٥؛ التوبة:٢٣؛ النور:٥٠؛ الحجرات:١١؛ الممتحنة:٩.

١٥٤- انظر: سورة البينة، الآية: ٦.

١٥٥- انظر: سورة المجادلة، الآية: ١٩.

١٥٦- انظر: سورة النساء، الآية: ١٥١، سورة المائدة، الآية: ٤٤.

١٥٧- انظر: سورة عبس، الآية: ٤٢.

١٥٨- انظر: سورة المائدة، الآيات: ١٠، ٨٦، سورة الحج، الآية: ٥١، سورة الحديد، الآية: ١٩.

ويرضى عنهم، تنبيهًا للمسلمين وإرشادًا لهم إلى أهمية استخدام هذا المنهج في ميادين الحياة المختلفة، فلكل ميدان من تلك الميادين مواصفات خاصة وشروط معينة لا بد أن تتوافر فيمن ينتسب إليها ويعمل فيها، كما أن كل ميدان من تلك الميادين لا يمكن أن يقبل اتصاف من ينتسب إليه بصفات معينة ومحددة. والأمر متروك لأهل التخصص والخبرة ليحددوا الصفات الإيجابية والسلبية في كل ميدان، وينقدوا المنتسبين إليه بناء على ذلك، فيقبلوا من اتصف بالصفات الإيجابية، ويرفضوا من اتصف بالصفات السلبية. ولو طبق هذا الأمر في حياة المسلمين لسلم لهم أمر دينهم وأمر دنياهم، ولما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من ضياع وتخلف. ولعل مجال قبول الأخبار والروايات وردّها من أهم المجالات الجديرة بالعناية والاهتمام بها في ضوء منهج الجرح والتعديل. فينبغي أن تقبل رواية من يتصف بصفات تضمن صحة روايته ودقتها، كما ينبغي أن تردّ رواية من يفتقد تلك الصفات ولا يتحقق بها. وقد استجاب علماء الحديث لهذا الأمر، فحددوا صفات إيجابية وأخرى سلبية، يختبر من خلالها ويحاكم في ضوئها المشتغلون بتحمل الحديث الشريف وأدائه، فأنشأوا منهج الجرح والتعديل، أحد الموضوعات الرئيسية في علوم الحديث، وجعلوه ميزانا يثقل في كفته الراوي فيزكى وتقبل روايته، أو تخف موازينه فيرفض وتردّ روايته. ونظرا لمكانة الحديث الشريف عند المسلمين، وكونه مصدرا رئيسيًا من مصادر التشريع عند المسلمين، فإن العدالة والضبط ـ بفروعهما المعروفة في علم الحديث ـ صفتان مهمتان ينبغي أن يتحلى بهما من يشتغل بروايته.

المطلب الثالث: اشتراط عدالة الراوي:

اشتراط العدالة في الشاهد أو الراوي يمكن أن يعد أحد المظاهر الرئيسية لنقد الروايات في القرآن الكريم. فقد نص القرآن الكريم على ضرورة أن يكون الشاهد ذا استقامة في دينه وصفاء في سريرته، وممن يرضى الناس بقوله وحكمه، قال تعالى: ﴿...وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ...﴾(١٥٩). وقال عز وجل: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾(١٦٠). وقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ يفهم منه أن في الشهود من لا يرضى، ولذلك استدل الإمام القرطبي بهذه الآية على "أن الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى تثبت لهم، وذلك معنى زائد على الإسلام، وهذا قول الجمهور. وقال أبو حنيفة: كل مسلم

١٥٩- سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

١٦٠- سورة الطلاق، الآية: ٢.

ظاهر الإسلام مع السلامة من فسق ظاهر فهو عدل وإن كان مجهول الحال"(١٦١). ويرجح الإمام القرطبي قول الجمهور مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، فيقول: "قوله: فـ"منكم" خطاب للمسلمين. وهذا يقتضي قطعا أن يكون معنى العدالة زائدا على الإسلام ضرورة، لأن الصفة زائدة على الموصوف، وكذلك ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾ مثله، خلاف ما قال أبو حنيفة، ثم لا يعلم كونه مرضيا حتى يختبر حاله، فيلزمه ألا يكتفي بظاهر الإسلام"(١٦٢).

والعدالة في اللغة مشتقة من العدل، و"العدْل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور... والعدْل من الناس: المرضي قوله وحكمه... ويقال: رجل عدل، ورجلان عدل، ورجال عدل، وامرأة عدل، ونسوة عدل، كل ذلك على معنى رجال ذوو عدل ونسوة ذوات عدل، فهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإن رأيته مجموعًا أو مثنى أو مؤنثًا فعلى أنه قد أجري مجرى الوصف الذي ليس بمصدر... والعَدالة والعُدولة والمَعْدِلة والمعدَلة، كله: العدل... وتعديل الشهود: أن تقول: إنهم عُدوْل. وعدَّل الحكم: أقامه، وعدّل الرجل: زكاه"(١٦٣).

والعدالة في الاصطلاح الشرعي تعني "الاعتدال في الأحوال الدينية، وذلك يتم بأن يكون مجتنبا للكبائر، محافظا على مروءته وعلى ترك الصغائر، ظاهر الأمانة غير مغفل. وقيل: صفاء السريرة واستقامة السيرة في ظن المعدل، والمعنى متقارب"(١٦٤). وأخرج الخطيب البغدادي عن إبراهيم النخعي قوله: "العدل في المسلمين من لم يظن به ريبة"(١٦٥).

أما في اصطلاح المحدثين، فقد عرّف الإمام ابن الصلاح العدل بأنه المسلم البالغ العاقل، السالم من أسباب الفسق وخوارم المروءة(١٦٦). وخوارم المروءة هي: "كل ما يحط من قدر الإنسان في العرف الاجتماعي الصحيح، مثل التبول في الطريق، وكثرة السخرية والاستخفاف"(١٦٧).

١٦١- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ٣٩٥.

١٦٢- المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٩٥-٣٩٦.

١٦٣- ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١١، ص ٤٣٠- ٤٣١.

١٦٤- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ٣٩٦.

١٦٥- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، **الكفاية في علم الرواية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٧٨-٧٩.

١٦٦- انظر: أبوعمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، **معرفة أنواع علوم الحديث**، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٠٤. وانظر: نور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ص ٧٨-٧٩.

١٦٧- نور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ص٨٠.

وراوي الحديث يشبه الشاهد في كونه ناقلا لخبر ما ولمعلومة معينة، ولذلك اشترط علماء الحديث في الراوي ما اشترطه علماء الفقه في الشاهد، باستثناء شرطين: وهما الحرية والذكورة، فتقبل رواية الحر والعبد، والذكر والأنثى[168]. يقول الإمام النووي: "اعلم أن الخبر والشهادة يشتركان في أوصاف ويفترقان في أوصاف. فيشتركان في اشتراط الإسلام والعقل والبلوغ، والعدالة والمروءة، وضبط الخبر والمشهود به عند التحمل والأداء، ويفترقان في الحرية والذكورية، والعدد والتهمة، وقبول الفرع مع وجود الأصل. فيقبل خبر العبد والمرأة والواحد، ورواية الفرع مع حضور الأصل الذي هو شيخه، ولا تقبل شهادتهم إلا في المرأة في بعض المواضع مع غيرها. وترد الشهادة بالتهمة، كشهادته على عدوه، وبما يدفع به عن نفسه ضررًا، أو يجر به إليها نفعًا، ولولده ووالده. واختلفوا في شهادة الأعمى فمنعها الشافعي وطائفة، وأجازها مالك وطائفة، واتفقوا على قبول خبره. وإنما فرق الشرع بين الشهادة والخبر في هذه الأوصاف، لأن الشهادة تخص فيظهر فيها التهمة، والخبر يعمه وغيره من الناس أجمعين فتنتفي التهمة. وهذه الجملة قول العلماء الذين يعتد بهم، وقد شذ عنهم جماعة في أفراد بعض هذه الجملة"[169].

وقد أخرج الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دُكَين (٢١٩هـ) قوله: "إنما هي شهادات، وهذا الذي نحن فيه ـ يعني الحديث ـ من أعظم الشهادات"[170]. وكان بهز بن أسد "إذا ذكر له الإسناد الصحيح، قال: هذه شهادات الرجال العدول بعضهم على بعض. وإذا ذكر له الإسناد فيه شيء قال: هذا فيه عهدة، يقول: لو أن لرجل على رجل عشرة دراهم، ثم جحده، لم يستطع أخذها منه إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ من العدول"[171]. ويؤكد الإمام مسلم تشبيه الراوي بالشاهد بقوله: "والخبر، وإن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أعظم معانيهما. إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم. كما أن شهادته مردودة عند جميعهم"[172].

١٦٨- انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، المدينة، ج ١، ص ٣٥٢.

١٦٩- يحيى بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج١، ص ٦١.

١٧٠- الخطيب البغدادي، **الكفاية**، ص ٧٧.

١٧١- المرجع نفسه، ص ٧٧. وبهز بن أسد هو أحد تلاميذ الإمام شعبة، توفي بعد المائتين.

١٧٢- النيسابوري، **صحيح مسلم**، المقدمة، ج ١، ص ٧.

ومن الآيات الدالة على اشتراط العدالة في الراوي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾(١٧٣). فالآية تدل على أن خبر الفاسق مردود لا يحتج به، وتنكير الفاسق والنبأ يفيد الشمول والعموم، فكأنه قال: "أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق، لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه"(١٧٤). وقد استدل الإمام مسلم بهذه الآية والآيتين السابقتين في الشهادة على أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة(١٧٥).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن القرآن الكريم حذر المسلمين من الانخداع بما قد يظهره بعض الناس من كلام جميل وأخلاق حسنة، يغطون بها أخلاقهم السيئة ونواياهم الخبيثة، فلا بد للحكم على المرء من التثبت والتحقق، يقول الله عزّ وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾(١٧٦).

يقول المفسرون: "إن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق... وكان رجلا حلو القول والمنظر، فجاء بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر الإسلام وقال: الله يعلم أني صادق، ثم هرب بعد ذلك، فمر بزرع لقوم من المسلمين وبحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر"(١٧٧). وذهب قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء إلى أن هذه الآية "نزلت في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو إضرارا، وهو يظهر بلسانه

١٧٣- سورة الحجرات، الآية: ٦.

١٧٤- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ج٣، ص٣٥٩- ٣٦٠.

١٧٥- انظر: النيسابوري، **صحيح مسلم**، المقدمة، ج ١، ص ٧. أما عن تعريف الفسق، فيقول الآلوسي: "والمشهور الاقتصار في تعريفه على الإخلال بشيء من أحكام الشرع". انظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢٦، ص ١٤٥.

١٧٦- سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤-٢٠٦، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ سورة البقرة، الآيتان: ٨-٩.

١٧٧- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ١٤-١٥. قال القرطبي: "واسمه أبي، والأخنس لقب لقب به، لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم". وانظر: السيوطي، **الدر المنثور**، ج ١، ص ٥٧٢.

خلاف ذلك، فهي عامة، وهي تشبه ما ورد في **سنن الترمذي** أن في بعض كتب الله تعالى: إن من عباد الله قوما ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، يشترون الدنيا بالدين، يقول الله تعالى: أبي يغترون، وعليّ يجترئون؟ فبي حلفت لأتيحنّ لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران"(١٧٨).

يقول الإمام القرطبي في شرحه لهذه الآية: "قال علماؤنا: وفي هذه الآية دليل وتنبيه على الاحتياط فيما يتعلق بأمور الدين والدنيا، واستبراء أحوال الشهود والقضاة، وأن الحاكم لا يعمل على ظاهر أحوال الناس وما يبدو من إيمانهم وصلاحهم حتى يبحث عن باطنهم، لأن الله تعالى بين أحوال الناس، وأن منهم من يظهر قولا جميلا وهو ينوي قبيحا. فإن قيل: هذا يعارضه قوله عليه السلام: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" الحديث(١٧٩)، وقوله: "فأقضي له على نحو ما أسمع"(١٨٠) فالجواب أن هذا كان في صدر الإسلام، حيث كان إسلامهم سلامتهم، وأما وقد عم الفساد فلا، قاله ابن العربي. قلت: والصحيح أن الظاهر يعمل عليه حتى يتبين خلافه، لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في **صحيح البخاري**: أيها الناس، إن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمنّاه وقرّبناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نؤمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة"(١٨١).

١٧٨- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ١٥. والرواية المذكورة تجمع بين حديثين أخرجهما الإمام الترمذي في **سننه** مرفوعين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكت عن الأول، وقال عن الثاني: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عمر لا نعرفه إلا من هذا الوجه. انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، أبواب الزهد، رقم ٢٤٠٤ و٢٤٠٥، ج ٤، ص ٦٠٤.

١٧٩- البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، حديث رقم: ٢٧٨٦، ج ٣، ص ١٠٧٧، والنيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، حديث رقم: ٢١، ج ١، ص ٥٢.

١٨٠- البخاري، **صحيح البخاري**، في كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، حديث رقم:٦٧٤٨، ج ٦، ص٢٦٢٢.

١٨١- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ١٥. وانظر نص سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في: الخطيب البغدادي، **الكفاية**، ص ٧٨.

والذي يظهر للباحث أن نص الخليفة عمر رضي الله عنه ينسجم مع ما ذهب إليه عدد من العلماء ومنهم القاضي أبو بكر ابن العربي، فلا بد من مراقبة أفعال المرء وأقواله، ويدل لذلك قوله رضي الله عنه: "فمن أظهر لنا خيرا أمنّاه وقرّبناه"، وهذه هي الوسيلة الوحيدة للحكم على المرء في حال انقطاع الوحي. فمن المستحيل الحكم بعدالة المرء بيقين كامل، بل الحكم هنا يكون بغلبة الظن أو الظن القوي المقارب لليقين، ولعل هذا ما أشار إليه سيدنا عمر رضي الله عنه بقوله: "وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته"، فحقيقة سريرة المرء أمر غيبي لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي. والأخذ بالظاهر لا يعني الاستغناء عن السؤال والتفتيش والاختبار للوصول إلى حكم دقيق قدر المستطاع، ولذلك لم يكتف عمر رضي الله عنه بقول الرجل وادعائه للحكم عليه، فلم يقبل قول من قال: "إن سريرته حسنة"، مع أن أعماله وأقواله توحي بخلاف ذلك. ومما يؤكد اشتراط سيدنا عمر رضي الله عنه للعدالة المتحقق منها، وليس العدالة الظاهرة فقط، انتقاده لمن زكى غيره، دون أن يختبره، فقد أخرج الخطيب البغدادي عن خرشة بن الحر[١٨٢] قال: "شهد رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة، فقال له: لست أعرفك، ولا يضرك أن لا أعرفك، ائت بمن يعرفك. فقال رجل من القوم: أنا أعرفه، قال: فبأي شيء تعرفه؟ قال: بالأمانة والعدل. قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: فمعاملك بالدينار والدرهم اللذين يستدل بهما على الورع؟ قال: لا. قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: لست تعرفه، ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفك". وفي رواية أخرى: "قال: اسكت، فلا أرى لك به علما، أظنك، والله، رأيته في المسجد يخفض رأسه ويرفعه"[١٨٣].

وبناء على ذلك فرق العلماء بين نوعين من أنواع العدالة، وهما: العدالة الظاهرة، والعدالة الباطنة. فالعدالة الظاهرة هي ما يظهر من التزام المرء بالإسلام وتجنبه لما يدخله في دائرة الفسق من ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة أو دعوة إلى بدعة لا تخرجه من الملة، أما العدالة الباطنة فهي التي يرجع فيها إلى أقوال المزكين والجارحين الذين يختبرون حال الراوي ويصدرون الحكم اللائق به. فلم يقبل

١٨٢- خرشة بن الحر الفزاري، كان يتيما في حجر عمر، قال أبو داود: له صحبة. وقال العجلي: ثقة من كبار التابعين، توفي سنة ٧٤هـ. انظر: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ص ٣٣٧.

١٨٣- الخطيب البغدادي، **الكفاية**، ص ٨٤.

أكثر العلماء من المحدثين وغيرهم رواية من عرفت عدالته الظاهرة وجهلت عدالته الباطنة، وهو المستور، وإنما اشترطوا معرفة العدالة الباطنة، وذلك بأن يرد فيه توثيق من علماء الجرح والتعديل(١٨٤). وقد عقد الخطيب البغدادي فصلا خاصا في الرد على من زعم أن العدالة هي إظهار الإسلام وعدم الفسق، قال فيه: "والطريق إلى معرفة العدل المعلوم عدالته مع إسلامه، وحصول أمانته ونزاهته واستقامة طرائقه، لا سبيل لها إليها إلا باختبار الأحوال، وتتبع الأفعال التي يحصل معها العلم من ناحية غلبة الظن بالعدالة... ولا نعلم الصحابة قبلوا خبر أحد إلا بعد اختبار حاله، والعلم بسداده، واستقامة مذاهبه، وصلاح طرائقه"(١٨٥). وقد ذكر الحافظ ابن حجر رأي الجمهور ومن خالفهم، ثم قال: "والتحقيق أن رواية المستور ونحوه مما فيه الاحتمال، أي احتمال العدالة وضدها، لا يطلق القول بردها ولا بقبولها، بل هي موقوفة إلى استبانة حاله، كما جزم به إمام الحرمين"(١٨٦). ويشير الدكتور عتر في تعليقه على قول ابن حجر السابق إلى أن ما ذهب إليه الحافظ من التوقف في خبر المستور لا يختلف كثيرا عن مذهب الجمهور، إلا أن فيه مزيدا من التحري والعدالة في الحكم، لأن إطلاق القول برد رواية المستور قد يوحي بشيء من الطعن أو الجرح فيه، مع أنه لم يتبين أمره بعد(١٨٧).

وبناء على ما سبق فإن الحكم بعدالة شخص ما ينبغي أن تبنى على دراسة واختبار، ولا يكتفى في الحكم بالعدالة بما قد يظهره المرء من صفات وأفعال يغطي بها نوايا سيئة وأخلاقا غير مقبولة، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: نقد المتن:

لم يكتف القرآن الكريم بالتنبيه إلى أهمية نقد الرجال واشتراط عدالتهم في مجال الشهادة ونقل الأخبار، وتوسعه في تطبيق ذلك من خلال منهج الجرح والتعديل، بل أشارت بعض آياته إلى أهمية نقد متن الرواية ، أو ما يسمى بالنقد الداخلي للخبر، من خلال استخدام مقاييس نقدية محددة تعين على ذلك، وعدم الاكتفاء بنقد السند أو ما يطلق عليه النقد الظاهري أو الشكلي للخبر. ففي قوله سبحانه وتعالى:

١٨٤- انظر: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، دار الحديث، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ، ص١٢١؛ ونور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ص ٨٩-٩٠.

١٨٥- الخطيب البغدادي، **الكفاية**، ص ٨١-٨٢.

١٨٦- أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٠٢.

١٨٧- انظر: نور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ص٩٠.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾(١٨٨)، "تنبيه على أنه إذا كان الخبر شيئا عظيما وما له قدر فحقه أن يتوقف فيه، وإن علم أو غلب صحته على الظن، حتى يعاد النظر فيه، ويتبين فضل تبين"(١٨٩). ويفهم من التحذير بإصابة قوم بجهالة، تحذير أولى منه وأهم، وهو التحذير من أن ينسب الإنسان إلى الله عزّ وجل ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تصح نسبته إليهما، وذلك بقبول الروايات عنهما دون نقد وتمييز لصحيح تلك الروايات من سقيمها، وحقها من باطلها. فإذا كان على المسلم أن يحذر من قبول أخبار تتعلق بقوم آخرين دون تمحيص وبيان وينطلق في تصرفاته بناء عليها، فإن الحذر من ذلك في حق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يكون أشد وأعظم.

وقد ذم الله عزّ وجل اليهود بقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ ﴾(١٩٠)، فوصفهم بأنهم يقبلون أخبار أحبارهم فيما ينسبونه إلى الله سبحانه وتعالى دون نقد وتمحيص(١٩١). ويمكن أن يستدل بهذه الآية على ضرورة التثبت والدراسة والنقد لما يسمعه الإنسان من الأخبار عامة، وعن الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم خاصة، وعدم التسرع في قبولها، مع اشتمالها على ما لا يمكن قبوله أو التصديق به، وإن جاءت عن راو قد يكون محل ثقة عند سامعه، فالراوي قد لا يكون أهلا لتلك الثقة، وإذا كان ثقة فهو غير معصوم من الخطأ.

وقد أعطانا القرآن الكريم أمثلة عملية لنقد المتن، من خلال الأمثلة التالية:

المثال الأول:

قصة سيدنا يوسف عليه السلام، حيث يقول سبحانه: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾(١٩٢). فعندما زعمت امرأة العزيز أن يوسف عليه السلام هو الذي راودها عن نفسه، ورد يوسف عليه السلام بقوله: ﴿ قَالَ هِيَ

١٨٨- سورة الحجرات، الآية: ٦.

١٨٩- الآلوسي، **روح المعاني**، ج ٢٦، ص ١٤٥. وانظر: محمد فخر الدين ابن ضياء الدين عمر الرازي، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ٢٨، ص ١٢٠.

١٩٠- سورة المائدة، الآية: ٤٢.

١٩١- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦، ص ١٨١.

١٩٢- سورة يوسف، الآيات: ٢٦-٢٨.

﴿رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾، اقترح ابن عمها أن تختبر صحة كلامها بعرضه على واقع الحال، فقال: "تبيان هذا في القميص، فإن كان القميص قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين"(١٩٣)، وعندما وجد القميص قدّ من دبر، تبين للعزيز كذب قولها وصدق يوسف عليه السلام. ففي هذه الآيات إشارة إلى أهمية نقد الخبر وعدم الاكتفاء بسماعه ممن قد يوثق به، وذلك باستخدام مقاييس محددة تعين على التحقق من صحته، ومن ذلك عرض الأخبار المتعلقة بالواقع على الواقع الذي يصدق الخبر أو يكذبه، كما جاء في قصة يوسف عليه السلام.

المثال الثاني:

قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد، يقول الله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾(١٩٤).

يروي الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن سليمان عليه السلام أوتي ملكا، وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره؛ فلما فقد الهدهد سأله عن سبب غيابه ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب، فقال له الهدهد: ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾(١٩٥). فلما أخبر الهدهد سليمان عليه السلام بهذا الخبر، وهو خبر عظيم يظن أنه لا يخفى عليه، توقف في قبوله منه دون تحقيق وتدقيق في صحته، مع أن الهدهد كان من أعوان سيدنا سليمان الذين يثق بهم ويعتمد عليهم في شؤونه وأموره، وقد أكد له الخبر بقوله: ﴿بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ أي صدق وحق لا شك فيه. ولكن الخبر كان غريبا بالنسبة إلى سليمان عليه السلام، ويحتاج إلى فضل تبين وتحقق، لا سيما أن الهدهد ذكره في معرض الاعتذار عن غيابه وتأخره. ولذلك قال

١٩٣- الطبري، **جامع البيان**، ج ١٢، ص ١٩٢.

١٩٤- سورة النمل، الآيات: ٢٠-٢٨.

١٩٥- سورة النمل، الآيات: ٢٢-٢٣، انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج ١٩، ص ١٥٩.

له سليمان عليه السلام: سننظر أصدقت فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخبر، أم كنت من الكاذبين في مقالتك لتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك[١٩٦].

وهنا يأتي نقد نص الخبر الذي جاء به الهدهد والتحقق من وجود هؤلاء القوم وحقيقتهم عن طريق مراسلتهم وانتظار ردهم على رسالته، فكتب سليمان عليه السلام كتابًا إلى بلقيس وقومها، وأرسله مع الهدهد. فلما وصل الكتاب إلى بلقيس ملكة سبأ، عمدت إلى الكتاب فقرأته، ثم جمعت أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها لتستشيرهم فيه، واستقر الأمر على أن ترسل لسليمان عليه السلام بهدية لعله يرضى بها[١٩٧]. وعندما تلقى سيدنا سليمان عليه السلام تلك الهدية، تيقن من صحة خبر الهدهد، وأمر برد تلك الهدية إليهم، ولم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف[١٩٨]. وهكذا لم يكتف سليمان عليه السلام بإخبار الهدهد له، مع كونه ثقة عنده، وفي هذا دليل على مشروعية نقد نص الخبر، وعدم الاكتفاء بنقد الناقل له أو المخبر به، وبخاصة إذا كان الخبر مهما أو مستغربا.

تلك هي أهم معالم نقد الروايات في القرآن الكريم، وهي تمثل منهجا ربانيا في التمييز بين الحق والباطل في الأخبار عامة، وفي مجال روايات الحديث الشريف خاصة. فالقرآن الكريم يؤكد على أهمية التثبت في الأخبار، وعدم قبولها إلا ممن هو أهل لأن يقبل قوله، ويشترط فيمن تقبل شهادته أو روايته أن يكون متصفا بالعدالة، ويضرب لنا مثالا عمليا في نقد الرجال وبيان أحوالهم جرحا وتعديلا. كما ينبه إلى أهمية نقد المتن، ويعطينا أمثلة واقعية للتحقق من صحته.

وقد أفاد المحدثون من هذا المنهج فائدة عظيمة، وشيدوا صرح علوم الحديث على أساسه، ذلك العلم الذي يهدف إلى التمييز بين المقبول والمردود من الروايات، وصيانة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين.

الخاتمة:

بعد هذا الاستقراء والتحليل لآيات القرآن الكريم المتعلقة بمنهج نقد الروايات عند المحدثين توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١٩٦- انظر: المرجع السابق، ج ١٩، ص ١٥١، وابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٣، ص ٣٦١- ٣٦٢.

١٩٧- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج ٣، ص ٣٦٢- ٣٦٣.

١٩٨- انظر: المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٦٤.

١- تأكيد القرآن الكريم على أهمية التثبت في الروايات ونقدها وتمحيصها، ونقد الرواة والتأكد من صلاحيتهم لنقل الأخبار ونشرها، وإرشاده إلى عدد من القضايا التي ينبغي التنبه لها في مجال دراسة الروايات ونقدها.

٢- اشتمال منهج نقد الروايات في القرآن الكريم على نقد كل من الراوي والمروي. فقد أشار القرآن الكريم إلى الاهتمام بدراسة المتن ونقده من أجل التحقق من صحته، إضافة إلى التأكيد على ضرورة التثبت من عدالة الراوي، وكونه أهلا لقبول روايته.

٣- بيان أصول علم مصطلح الحديث ومصدره وتاريخ نشأته، والتأكيد على كونه علما إسلاميا أصيلا، شيد بنيانه سلفنا الصالح بناء على توجيهات القرآن الكريم وإرشاداته.

٤- تعزيز الثقة بمنهج النقد عند المحدثين، وقدرته على صيانة الأخبار والروايات والتمييز بين صحيحها وسقيمها، والحفاظ على السنة النبوية المطهرة سالمة من الزيادة أو النقصان، وبيان كونه منهجا ربانيا، يستمد أصوله من القرآن الكريم.

٥- الرد على المستشرقين وأتباعهم الذين يشككون في قدرة منهج النقد عند المحدثين على الحفاظ على السنة النبوية، وذلك لتأخر نشأة هذا المنهج، وظهوره بعد اختلاط الصحيح بالموضوع، حسب زعمهم.

وتوصي الدراسة بما يلي:

١- الاستفادة من المنهج القرآني في قبول الأخبار وردّها، وتوظيفه في مجالات الحياة المختلفة، وخاصة المجال الإعلامي والاجتماعي.

٢- الاهتمام ببيان معالم علم الحديث في صدر الإسلام، وتوظيفها في مجال الاستدلال على مشروعية قواعد هذا العلم، والرد على كثير من الشبهات المتعلقة به، وتحصين المسلمين ضد تلك الشبهات.

وختاما: أسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يوفقنا لخدمة سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يعصمنا من الزلل في القول والعمل، وأن يتقبل منا أعمالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين.

Principles of evaluating ╓adith narrations in the Holy Qur'┐n

The present article is an attempt to reveal the origins of the methodology of evaluating ╓adith narrations in the light of Holy Qur'┐n. It seeks to emphasize that evaluating ╓adith narrations had been keeping pace with the process of receiving and transmitting ╓adith narrations in the early days of Islam. It shows the clear stress placed by the Holy Qur'┐n on verifying reports including ╓adith narrations . In fact this is how the early Muslim scholars were led to pay seriouse attention to it. The article also presents several examples related to statements of praising or disparaging of ╓adith narrators al-Jar╒ wa al-Ta'd┘l, which is discussed through three sections: statements concerning individuals, statements concerning certain groups and general statements. The Holy Qur'┐n, however, directs Muslims not to accept any information before investigating the trustworthiness of reporters or witnesses. Lastly, allusion is found in the Holy Qur'┐n to text criticism, which has been illustrated by citing two practical examples. These examples establish the principle that reports or news should not be endorsed, even from those who might otherwise be trusted, without further examination of the text, especially when the news is significantly impactful or provides such details as might cast doubt on its credibility.

❋❋❋❋